المسلات المصرية

على خمسة اميال من القاهرة اطلال مدينة عنوحت ٱلَّتي سماها النبي ارميا بيت شمس واليونان هليوبوليس او مدينة الشمس والعرب عين شمس . وهناك مسلة المطريّة ٱلَّتي نصبها الملك اوسرتسن الاول احد ملوك الدولة الثانية عشرة من الدول المصريّة منذ اكثر من اربعة آلاف وثلثمئة سنة . وهي المرسومة في هذا الشكل وقد نصبت قبل ايام

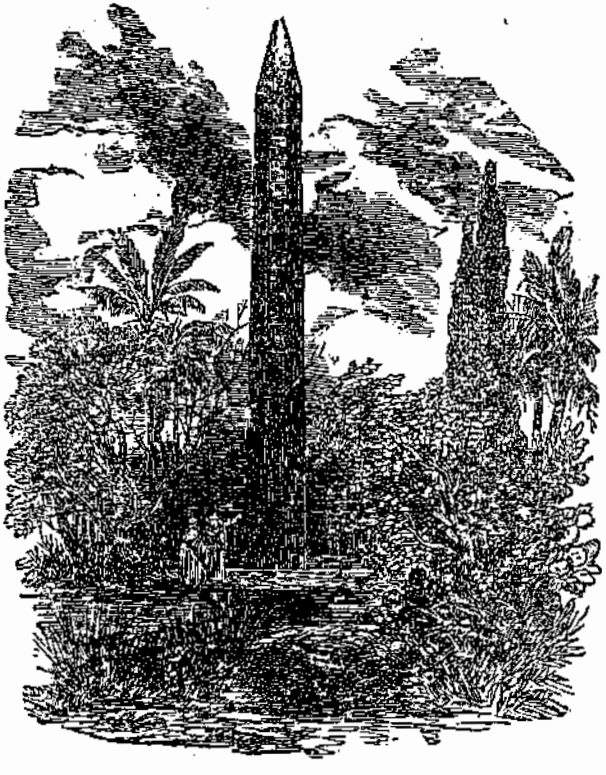

موسى الكليم بل قبل ايام ابرهيم الخليل ولكن شتّان بين ما كانت عليه في تلك العصور الخوالي حين كانت محاطة بالهياكل الفخيمة والمدارس الرحبة يحفّ بها الكهنة بملابس البوص والكتان ومباخر الفضة والذهب ويتفيأ ظلها طلاب العلم الذين قصدوا مدارس عين شمس من مختلف البلدان ليتفقهوا بعلوم المصريين وحكمتهم وبين حالتها الحاضرة والابقار والجواميس قائلة بجانبها وابناء الفلاحين يطفرون حولها حفاة حاسرين

وطول هذه المسلة نحو ٢١ مترًا وهي من مرمر اصوان الاحمر وعليها نقوش بالقلم المصري القديم لم تزل ظاهرة حتى الآن كأنها حفرت منذ اعوام قلائل . ولا ندري لما ذا لا تهتم الحكومة المصريّة بامرها وتنزع التراب عن قاعدتها وطين الزنابير عن سطحها وتحيطها بدرابزون من الحديد حفظًا لها مما ألمّ بغيرها . فان مئة جنيه من الوف الجنيهات ألّتي تنفق سنويًا على نقب الآثار المصرية وتعريضها للتلف كافية لحفظ هذه المسلة وجعلها مقصدًا لطالبي الفائدة والنزهة

وكان لها اخت بجانبها بقيت منصوبة الى القرن السابع بعد المسيح ثم اخنى عليها الدهر فسقطت وعفي اثرها إمّا قطعت ارحاء واعتابًا كما قُطع غيرها من الانصاب والتماثيل او طمرها الطين وحفظها لمن يفتش عنها. قال عبد اللطيف البغدادي وقد زار هذه الديار منذ سبع مئة عام ما نصهُ

"ومن ذلك الآثار ألّتي بعين شمس وهي مدينة صغيرة يشاهد سورها محدقًا بها مهدومًا ويظهر من امرها انها كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحيت الحجارة يكون طول الصنم زهاء ثلاثين ذراعًا واعضاؤهُ على تلك النسبة من العظم .... وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير الانسان وغيره من الحيوان وكتابات كثيرة بالقلم المجهول وقلّما ترى حجرًا عُطُلاً من كتابة او نقش او صورة . وفي هذه المدينة المسلتان المشهورتان وتسميان مسلتي فرعون . وصفة المسلة ان قاعدة مربعة طولها عشر اذرع في مثلها عرضًا في نحوها سمكًا قد وضعت على اساس ثابت في الارض ثم اقيم عليها عمود مربع مخروط ينيف طولهُ على خمسين ذراعًا يبتدئ من قاعدة لعلّ قطرها خمس اذرع وينتهي الى نقطة وقد لُبّس رأسها بقلنسوة نحاس الى نحو ثلاث اذرع منها كالقمع وقد تزنجر بالمطر وطول المدة واخضرّ وسال من خضرته على بسيط المسلة . والمسلة كلها عليها كتابات بذلك القلم . ورأيت احدى المسلتين وقد خرّت وانصدعت من نصفها لعظم الثقل وأُخذ النحاس من رأسها . ثم ان حولها من المسال شيئًا كثيرًا لا يحصى عددها ومقاديرها على نصف تلك العظمى او ثلثها .... ورأيت بالاسكندريّة مسلتين على سيف البحر في وسط العمارة اكبر من هذه الصغار واصغر من العظيمتين"

ولم يبقَ من كل ما ذكرهُ عبد اللطيف الاّ هذه المسلة ألّتي نحن في صددها. وهي واختها ألّتي عفي اثرها اقدم المسلاّت المصريّة الكبيرة . وتليها في القدم مسلتان نصبها الملك تحتمس الاول من ملوك الدولة الثامنة عشرة امام هيكل اوسيرس في الكرنك الواحدة

منها لم تزل قائمة والثانية مصروعة بجانبها. ثم المسلتان الشهيرتان اللتان نصبتهما بنتهُ الملكة هتاسو تذكارًا لهُ احداهما قائمة في هيكل الكرنك وارتفاعها نحو ٣١ مترًا والثانية صريعة بجانبها كأن قومًا طمعوا بما كان على رأسها من النحاس فربطوها بالحبال وتعاونوا عليها ورموها الى الارض ولما رأوا انها تكسرت قطعًا أنَّبتهم ضمائرهم فعدلوا عن رمي اختها . ونصبت الملكة هتاسو مسلتين أُخريين امام هيكلها في الجانب الغربي من النيل ولم يبقَ منهما الى الآن الا قاعدتاهما

ونصب اخوها تحتمس الثالث اربع مسلات كبيرة في عين شمس سميت اثنتان منها مسلتي فرعون واثنتان مسلتي كليوباترة والاوليان منها نقلهما الملك قسطنطين الكبير الى الاسكندريَّة ثم نقلت واحدة منهما الى القسطنطينيَّة وهي الآن في آت ميدان وطولها اكثر من ١٥ مترًا والمظنون ان الموجود منها هناك انما هو نصفها الاعلى . والثانية نقلت الى رومية وهي اكبر المسلات المصريَّة المعروفة الى الآن فان طولها نحو ٣٤ مترًا . والمسلتان الاخريان نقلتا الى الاسكندريَّة في السنة الثامنة من ملك اغسطس قيصر اي قبل التاريخ المسيحي بثلاث وعشرين سنة ونصبتا فيها امام قصر القياصرة وكان ذلك بعد موت كليوباترة بسبع سنوات فلم تكتحل عيناها الجميلتان برؤيتها لكنَّ سكان مصر نسبوهما اليها تذكارًا لحبهم لها . وقد وُجد تحت احداهما لوح من النحاس عليهِ باليونانية واللاتينيَّة ما تعريبهُ "بربا روس حاكم مصر نصبها في السنة الثامنة لقيصر وكان المهندس بنتيوس". واخفى الدهر على القصر فقوَّض اركانهُ وبعثر انقاضهُ ومحا آثارهُ واما المسلتان فبقيتا تقاويان الزمان ورآهما عبد اللطيف قائمتين منذ سبع مئة عام كما تقدم وليتنا بعدهُ اربع مئة عام والنجوم تشرق وتغرب وتنشدها قول من قال

وكل اخٍ مفارقهُ اخوهُ لعمر ابيك الاَّ الفرقدانِ

الى ان تحت البحر اساس احداهما فاستلقت على الثرى ولم تدرِ ما كُنَّ لها في خزائن الدهر ولبثت اختها قائمة بجانبها ترقبها بعين الاشفاق خائفة من فراق لا يرجى بعدهُ تلاق

ولما دخلت الجنود الانكليزيَّة هذا القطر منذ ثلاث وتسعين عامًا لاخراج بونابرت منهُ أحبَّت ان تأخذ المسلة الصريعة غنيمة وحاولت جرَّها الى البحر ثم هجرتها بأمر قوادها. ولما رقي الملك جورج الرابع الى تخت الملك اهدى اليهِ مُحمَّد علي باشا هذه المسلة تذكارًا للسن وايركرمبي اللذين تغلبا على بونابرت. ومرَّت الايام والسنون والانكليز يحاولون نقلها الى بلادهم ثم يحجمون خوف النفقات الكثيرة الى ان تبرَّع الاستاذ اراسموس ولسن

طبيب امراض الجلد بعشرة آلاف جنيه لنقلها فاحيطت بانبوب كبير من الحديد ومواد خفيفة وانزلت الى البحر وربطت بسفينة بخاريّة فسارت بها من مرفإ الاسكندرية في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٨٧٧ فلما وصلت الى خليج بسكي امام اسبانيا ثارت العواصف وعبثت بالسفينة فكادت تغرقها ورأى الربّان ذلك فخاف من الغرق هو ورجالهُ وقطع حبال المسلة ونجا بسفينته وهو يحسب ان المسلة غارت الى قاع البحر لكن التقادير حفظتها من الغرق فوجدتها احدى السفن البخاريّة وأُتي بها الى بلاد الانكليز ونُصبت على ضفة نهر التمس في مدينة لندن ورأيناها هناك في الصيف الماضي غريبة شريدة لا انيس لها الاَّ اسدين كبيرين من نوع ابي الهول رابضين على جانبيها

والشكل الثاني صورة وجه من وجوه هذه المسلة وقد قرئت الكتابات الّتي عليهِ وهذا تعريب السطر الاوسط الذي نقشهُ عليها تحتمس الثالث صانعها مبتدئاً من الاعلى الى الاسفل بحسب قراءة القس جمس كن

" هورس الثور القدير المتوّج في طيبة تحتمس ملك مصر العليا والسفلى اقام انصاباً لابيهِ هرماخو ونصب مسلتين متوجتين بالذهب (او بالنحاس المذهب) في عيد الثلاثين عاماً . فعل حسب مشيئتهِ ابن الشمس تحتمس محبوب هرماخو الحي الى الابد "

اما السطران اللذان على جانبي السطر الاوسط فلم ينقشها تحتمس الثالث بل رعمسيس الثاني وهذا تعريب الاول منها " هورس الثور القدير ابن طم ملك مصر العليا والسفلى اله الشمس العظيم المملوء حقًّا المؤيد برا ملك الملوك والملكات حامي مصر مؤدب البلدان الغريبة ابن الشمس رعمسيس مري امن (اي ابن رع اله عين شمس

ومحبوب امن اله طيبة) الذي قاد الغرباء من امم الجنوب الى البحر العظيم والغرباء من امم الشمال الى اربع اقطار المسكونة سيد البلادين اله الشمس العظيم المملوء حقًّا والمؤيد برا ابن الشمس رعمسيس محبوب امن الذي يعطي الحياة مثل الشمس "

وتعريب السطر الثاني " هورس الثور القدير محبوب را ملك مصر العليا والسفلى رب الاعياد المقتدي بابيهِ فتاح تتانن ابن الشمس رعمسيس محبوب امن الثور القدير مثل شمس الملك لا احد يستطيع الوقوف امامهُ رب البلادين اله الشمس العظيم المملوء حقًّا المؤيد برا ابن الشمس رعمسيس محبوب آمن " وقس على ذلك السطور الّتي على بقيّة اوجه المسلة

اما اختها الّتي كانت قائمة في الاسكندريّة الى عهد قريب فنقلت الى الولايات المتحدة الاميركيّة ونصبت في روض نيويورك سنة ١٨٨١

ونصب الملك ستي الاول ابو رعمسيس الثاني مسلتين كبيرتين وهما الآن في رومية . ونصب رعمسيس الثاني مسلّات كثيرة منها اثنتان كانتا امام هيكل لقصر واحدة منها لم تزل قائمة مكانها والاخرى نقلت الى باريس ونصبت في ساحة الكونكورد واثنتان اخريان نقلتا الى رومية ولم تزالا فيها . اما المسلة التي امام كنيسة مار بطرس في رومية فما صُنع في ايام منفتاح ابن رعمسيس الثاني وارتفاعها نحو ٣٨ مترًا وهي الثالثة في الكبر بين المسلّات المصريّة الباقية الى الآن والاولى في رومية ايضًا وقد تقدم ذكرها والثانية في هيكل الكرنك

ونصب ساماتيكوس الاول مسلة في عين شمس وساماتيكوس الثاني مسلة اخرى وهما الآن في رومية . ونقل اشور بانيبال مسلتين من المسلّات المصريّة الى نينوى سنة ٦٦٤ ولم تكشفا حتى الآن بين اطلال تلك المدينة . وجملة المسال الموجودة الآن ٥٥ مسلة ٣٣ منها قائمة في بلدان مختلفة و٢٢ مطروحة في القطر المصري مدفونة بالاتربة والانقاض

واكثر المسلات المصريّة مقطوع من مقالع اصوان ولم تزل هناك مسلة كاكبرها تحت سطحها ولم تفصل من الصخر كأن الملك الذي امر بقطعها مات او قُهر على ملكهِ قبل ان تم قطعها فبقيت الى يومنا هذا تخبر عن كيفيّة قطع المسال بافصح بيان :

ذلك ان المصريين كانوا يحفرون حفرة طويلة غائرة بجانب الحجر الذي يريدون قطعهُ وينقبون فيها ثقوبًا يدخلون فيها اسافين من الخشب ويصبّون ماء في الحفر فيمتصّ

الخشب الماء ويتمدَّد فيشقُّ الصخر ويفصل الحجر منهُ

وعلى هذه الصورة كانوا يقطعون المسلة ثم يدخلون تحتها قطعاً من اجذاع النخل ويجرونها فتجري عليها كأنها على عجَل الى ان يصلوا بها الى ضفَّة النيل فيحيطونها باجذاع النخل يربطونها بها ويتركونها الى ايام الفيضان فيعلو ماء النيل ويحملها خفة اجذاع النخل فيسيرون بها الى حيث يراد نصبها ويجرونها على البر إما في ترعة يحفرونها لها او على اجذاع النخل . ويبنون لها قاعدة افقيَّة وينصبونها عليها عموديَّة ولهم في نصبها عموديَّة مهارة تفوق الوصف ثم ينقشون عليها النقوش والكتابات بعد نصبها . ويقال انهم قضوا على قطع احدى المسال الكبري ونحتها وصقلها وكتابتها ستًّا وثلاثين سنة فلا عجب اذا جاءت آية من آيات الصناعة

طيران الانسان

ما من احد رأى الطير تحلق في السماء راكبة متن الغمام وتسبح في الهواء كانها الفكر يخترق الفضاء فلا يأخذهُ تعب ولا سآم الاَّ ودَّ لو كان مثلها من ذوات الجناح واعتاض عن ركوب البر والبحر بركوب الرياح . وهذه التخيلات الشعرية قد رسخت في بعض النفوس فدفعت اصحابها الى محاولة الاقتداء بالطير في الطيران . ذكر المؤرخون ان راهباً اسمهُ الروس كان يقف على رأس برج في اسبانيا في اوائل القرن الرابع عشر ويطرح نفسهُ في الهواء فيطير مسافة غلوة ويقع على الارض سليماً . وان رجلاً من اهالي فرنسا مرَّن جسمهُ على الطيران في القرن السابع عشر فجعل يطرح نفسهُ من كوَّة قليلة الارتفاع ثم من كوَّة ارفع منها وهلمَّ جرًّا الى ان صار يرمي نفسهُ من اعلى الابراج الشاهقة ويطير فوق البيوت والانهار مسافة شاسعة . الا ان ما رُوي عن هذين الرجلين وامثالهما لا يخلو من المبالغة وهو غير معزَّز بالادلة القاطعة فلا يعلم مقدار الصدق فيهِ ومقدار ما زادهُ الوهم والاستغراب

وغنيٌّ عن البيان ان يدَي الانسان ضعيفتان جدًّا بالنسبة الى جناحي الطائر ولذلك رأى الذين حاولوا الطيران ان لا بدَّ لهم من الاستعانة بالرجلين ايضاً فصنعوا اجنحة الطيران واجهزتهُ المختلفة لتتصل باليدين والرجلين معاً لكنهم رأوها اضعف من ان تفي